تمتّعوا بالحياة

طقس غريب يصادفنا في هذه الأيام، مرّات نواجه حر شديد وبعدها بدون سابق إنذار رعد وبرق وأمطار ملوّثة بالتّراب والغبار، ومرّة أُخرى حرارة عاليّة وهلمّ جرا.

هل تذكرون أغنية المغني وائل كفوري "معقول تشتّي بآب تتلج عالدّنيا كلها "طبعًا الأغنيّة باللهجة اللبنانيّة وليس الفلسطينيّة.

إذا بقينا على هذا المنوال فبالتأكيد سوف تثلج الدّنيا بآب. لا شيء مستغرب في كلّ ما يخصّ تقلّبات الطّقس، أطباع النّاس تتغيّر كلّ يوم فلا تستغربوا من الطّقس.

بالأمس كان الطّقس حارًا جدًا، خماسينيًّا. وكنت قد شعرت بوعكة صحيّة لذا طلبت من صديقي وزميلي في العمل (خ) أن يأتي ويأخذني في طريقه إلى المكتب. وصل (خ) عندي متأخرًا عشر دقائق، وأنا أنتظره خارج البيت في هذا الحر الشّديد. ما أن وصل حتّى قفزت داخل سيّارته هاربًا من شدّة الحر. ما إن دخلت وجلست في المقعد الأمامي حتّى شعرت بحرٍ أشدّ من الحر خارج السّيارة، كالهارب من الرمضاء إلى النّار. بدأت أتصبب عرقًا في كل جسمي كأنني داخل (ساونا).

- "شغّل المكيّف، الجو في السّيارة حارٌ جدًا "قلتها مستجديًا. تجاهل (خ) كلامي متظاهرًا أنه لم يسمعني.
- "مش سامعني؟ شغّل المكيّف".
- "لشو؟ فش حاجة، افتح الشّباك يدخل هواء نقي". قالها وهو يلتفت إلى الشّباك بجانبه ويفتحه.
- "إنت مش حاسس بالحرارة، نكاد نموت من شدّة الحرّ، ألا تشعر بذلك؟ شغّل المكيّف".
- "هل تعلم أنّ المكيّف ينشّف الهواء وعندها يصعب علينا التّنفس؟!".
- "بلا فلسفة زيادة شغّل المكيّف وما بدي أسمع محاضرات".
- "هل تعلم أنّ المكيّف من الممكن أن ينقل الجراثيم والأمراض وينشر العدوى بين النّاس؟". وشرع في محاضرة مطوّلة حول أضرار المكيّف وسيّئاته، وأنا أتأفأف بصوت عالٍ. وأخيرًا قال:

- "هل تعلم أنّ المكيّف يستهلك خمسة وعشرين بالمئة من قوّة المحرّك ويستهلك كميّة أكبر من الوقود".
- "آها، يعني القضيّة قضيّة توفير ونقود؟! ألا تستحي على نفسك، قتلتنا من شدّة الحرّ وانت تتحدث عن خمسة وعشرين بالمئة؟!

في هذه اللحظة انضمّت إلينا زميلتنا (ر) التي صعدت إلى السّيارة، وما أن جلست حتى صاحت في وجه زميلنا (خ):

- "شغّل المكيّف، ليش مش مشغله؟!".
- لم ينبس زميلنا بكلمة، وشغّل المكيّف رغم أنفه، أما أنا فوجدت نفسي أصرخ بأعلى صوتي: "يحيا العدل، يحيا العدل ويلعن أبو الخمسة وعشرين بالمئة".

علينا أن نعي أنّ النقود وسيلة وليست هدفًا. وسيلة لإسعادنا وإيجاد سبل الرّاحة لما ولأولادنا. البخل داء لا يمكن الشّفاء منه. يُقال أنّ البخيل عدوّ الله. "وأنّ الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده"، "وأنّ المال والبنون زينة الحياة الدنيا".

عرفت أشخاصًا عاشوا فقراء وماتوا فقراء وتركوا وراءهم أموالًا طائلة تمتّع بها أولادهم، فباعوا الأراضي والبيوت ولم يتركوا شيئًا في حين كان آباؤهم يعيشون على كسرة خبز خوفًا من الإسراف.

استغرب من أولئك الأشخاص الذين يمتلكون أرضًا أو بيتًا إضافيًا، ويعيشون عيشة ضنك ولا يقومون ببيع الأرض أو البيت لعلّ وعسى يزداد سعرهم في يوم من الأيام، فيقضون حياتهم في عازة وفقر في انتظار ارتفاع سعر الأرض أو العقار ويموتون ولا ينعمون بما يملكون أبدًا. وينتظرون تلك الفرصة أو "الضّربة" التي لا تأتي أبدًا، فأصبحوا مكبّلين بجشعهم وطمعهم اللذين لن يتحرّروا منهما إلّا في القبر.

عيشوا حياتكم وتمتّعوا بها، فالحياة قصيرة تمر كلمح البصر. وهل يطيب لنا أن ننهي حديثنا بدون طرفة:

- قال عثمان بن دراج الطفيلي، وكان بخيلًا:

"مرّت بنا جنازة يومًا، ومعي إبني، ومع الجنازة امرأة تبكي وتقول: الآن يذهبون بك إلى مكان لا فراش فيه، ولا غطاء، ولا وطاء، ولا خبز، ولا ماء".

فانتصب ابني واقفًا وقال: "يا أبتِ إلى بيتنا والله يذهبون..".

ملاحظة: صديقي خلدون المذكور أعلاه هو من أكرم النّاس وأحسنهم خُلقًا.

أدامكم الله

أ.أيمن جبارة